

تفسير البحر المحيط

. @ 514 @

وفي الكشف : دابة تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار . فإن كان قريش من مزيد فيه فهو
تصغير ترخيم ، وإن كان من ثلاثي مجرد فهو تصغير على أصل التصغير . الشتاء والصيف فصلان
معروفان من فصول السنة الأربعة ، وهمزة الشتاء مبدلة من واو ، قالوا : شتا يشتو ،
وقالوا : شتوة ، والشتاء مفرد وليس بجمع شتوة . .

{ لِإِيلَافٍ قُورَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رَحْلَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلَا يَعْزُدُوا °
رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } . .
هذه السورة مكية في قول الجمهور ، مدنية في قول الضحاك وابن السائب . ومناسبتها لما
قبلها طاهرة ، ولا سيما أن جعلت اللام متعلقة بنفس فجعلهم ، وهو قول الأخفش ، أو بإضمار
فعلنا ذلك لإيلاف قريش ، وهو مروي عن الأخفش حتى تطمئن في بلدها . فذكر ذلك للامتنان عليهم
، إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم ، ولم تجتمع لهم كلمة . قال
الزمخشري : وهذا بمنزلة التضمين في الشعر ، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً
لا يصح إلا به ، وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل . وعن عمر : أنه قرأهما في الثانية
من صلاة المغرب ، وقرأ في الأوليين : والتين ، والمعنى أنه أهلك أهل الحبشة الذين قصدوهم
ليتسامع الناس بذلك ، فيتهيبوهم زيادة تهيب ، ويحترمهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن
في رحلتهم ، انتهى . .

قال الحوفي : ورد هذا القول جماعة ، وقالوا : لو كان كذا لكان لإيلاف بعض سورة ألم تر ؛
وفي إجماع الجميع على الفصل بينهما ما يدل على غير ما قال ، يعني الأخفش والكسائي
والفراء ، تتعلق بأعجبوا مضمرة ، أي أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم
عبادة رب هذا البيت ، ثم أمرهم بالعبادة بعد وأعلمهم أن الله هو الذي أطعمهم وآمنهم لا
آسفهم ، أي فليعبدوا الذي أطعمهم بدعوة أبيهم حيث قال : { وَارْزُقْهُمْ مِّنْ
الْثَّمَرَاتِ } ، وآمنهم بدعوته حيث قال : { رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا } ،
ولا تشتغلوا بالأسفار التي إنما هي طلب كسب وعرض دنيا . وقال الخليل بن أحمد : تتعلق
بقوله : { فَلَا يَعْزُدُوا ° } ، والمعنى لأن فعل الله بقريش هذا ومكنهم من إلفهم هذه
النعمة . { فَلَا يَعْزُدُوا ° } : أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة . قال الزمخشري :
فإن قلت : فلم دخلت الفاء ؟ قلت : لما في الكلام من معنى الشرط ، لأن المعنى : إما لا
فليعبدوا لإيلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه ،

فليعبدوه لهذه النعمة الواحدة التي هي نعمة ظاهرة ، انتهى . وقرأ الجمهور : { لِإِيْلَافٍ
قُرَيْشٍ } ، مصدر ألف رباعياً ؛ وابن عامر : لالاف على وزن فعال ، مصدر ألف ثلاثياً .
يقال : ألف الرجل الأمر إلفاءً وإلافاً ، وآلفه غيره إياه إيلافاً ، وقد يأتي ألف متعدياً
لواحد كإلف ، قال الشاعر : % (من المؤلفات الرمل أدماء حرة % .

شعاع الضحى في متنها يتوضح .

. %)

ولم يختلف القراء السبعة في قراءة إيلافهم مصدراً للرباعي . وروي عن أبي بكر ، عن
عاصم أنه قرأ بهمزتين ، فيهما الثانية ساكنة ، وهذا شاذ ، وإن كان الأصل أبدلوا الهمزة
التي هي فاء الكلمة لثقل اجتماع همزتين ، ولم يبدلوا في نحو يؤلف على جهة اللزوم لزوال
الاستثقال بحذف الهمزة فيه ، وهذا المروي عن عاصم هو من طريق الشمني عن الأعشى عن أبي
بكر . وروي محمد بن داود النصار عن عاصم : إيلافهم بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة
ناشئة عن حركة الهمزة الثانية لما أشبع كسرتها ، والصحيح رجوع عاصم عن الهمزة الثانية
، وأنه قرأ كالجماعة . وقرأ أبو جعفر فيما حكى الزمخشري : لإلف قريش ؛ وقرأ فيما حكى
ابن عطية الفهم . قال الشاعر :